د .ظافر يوسف

1_ مقدّمة:

تعدّ اللغة العربيّة بتاريخها الطويل وتراثها الحافل وثروتها اللغوية الهائلة من أقدم اللغات في العالم وأهمّها ، فقلّما نجد لغة في العالم تتمتّع بمثل هذا التاريخ الطويل عبر آلاف السنين ، فنحن لا نعرف حتى الآن متى وجدت اللغة العربية للمرّة الأولى ؟ ولا كيف كان مظهرها ؟ إنّ كلّ ما نعرفه أنّ تاريخ اللغة العربية يعود إلى عصور ضاربة في القدم ترجع إلى ما قبل التاريخ ، خاصّة إذا علمنا أنّ أقدم وثيقة مسمارية يذكر فيها اسم العرب تعود إلى سجلات الملك الآشوري سلمنصرّ الثالث Salamanassar III في معركة قرقر عام 853 ق.م إذ يذكر في التّحالف المعادي له جندب Gindibu من بلاد العرب Arabaya الذي اشترك ب 1000 جمل ، وجندب هو اسم علم يستخدم بكثرة في العربية الشمالية . وكذلك يرد اسم العرب مرارا في الوثائق التي وصلتنا من عهد الملك تغلت بيليصر الثالث Tiglatpilesar III الذي حكم بين عامي 745– 727 ق.م ، فإلى جانب Arbaya تمّ إيجاد الصيغ الآشورية Aribiو Arubu للعرب .[1]

أمّا العهد القديم "Das Alte Testament" فيذكر فيه ملوك العرب وبعض أسماء القبائل العربية ، وكذلك الملك قدر Qedar من قبيلة جشم Gasmu العربية التي أعادت في عام 444 ق.م بناء مدينة القدس .[2]

وإذا كان اسم العرب لا يرد قبل هذه الوثائق التاريخيّة ، فإنّ هذا _ بالتأكيد _ لا يعني أنّ وجود العرب يبدأ بهذا التاريخ ، وما دام العرب قد ذكروا في هذه الوثائق ، فلا شكّ أنّ وجودهم سابق لها . إنّ ما نريد أن نصل إليه من هذه المقدّمة أنّنا إذا كنّا نجهل العمر الحقيقي للغة العربية ، فإنّنا لا نستطيع إلّا أن نؤكّد امتداد جذورها إلى قرون طويلة سابقة للميلاد ، وهذا ما ذهب إليه علماء الساميات الذين يعدّون اللغة العربية أقدم لغة سامية على الإطلاق ، وذلك لأنّها اللغة السامية الوحيدة التي حافظت على اللفظ الصحيح للأصوات السامية ، ولأنّها اللغة

---

[1]) ينظر كتاب "Grundriss der Arabischen Phylologie , von Wolfdietrich Fischer , Bd . I , S.11" .

[2]) ينظر المصدر نفسه ص 10-11 ؛ وكذلك الكتاب المقدس (العهد القديم) على سبيل المثال سفر حزقيال 21,27 ؛ و سفر إرميا 24,25.

الوحيدة من بين شقيقاتها التي احتفظت بظاهرة التنوين والإعراب . أضف إلى ذلك أنّ اللغة العربية هي أغنى اللغات السامية بالمفردات والثروة اللغوية ، وكذلك بالنظام النحوي و الصرفي والصيغ الاسمية و الفعلية و غير ذلك .

ولهذا السبب يقبل المستشرقون و دارسو اللغات السامية على تعلمها وإتقان قواعدها في النحو و الصرف / ليس من أجل فهمها فحسب ، وإنّما من أجل فهم اللغات السامية الأخرى ، وإجراء الدراسات اللغوية المقارنة فيما بينها . فالعربية لغة ، جذورها ضاربة في القدم ، وتاريخها متأصّل في العراقة ، وإنّ عدم وجود آثار كتابية أو وثائق مدوّنة من تلك الفترة لا يعني بحال من الأحوال عدم وجود اللغة العربي ، ذلك أنّ الإنسان تكلّم أوّلا ثم كتب بعد ذلك.[3]

خاصّة إذا علمنا أنّ العرب كانوا قد اشتهروا بالرواية الشفوية وتناقل الأخبار و توارثها خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل ، وقد حفظوا لنا أشعارهم وأخبارهم وأيّامهم وأمثالهم و تراثهم عن هذا الطريق .

إنّ المعلومات عن اللغة العربية في تلك الفترة من الزمن مقتضبة جدا ، و يكتنفها الغموض ، بل هي بكل بساطة غير متوفرة أساسا .

ولعلّ طبيعة الحياة الصحراوية القبلية التي كان يعيشها العرب في شبه الجزيرة العربية ، وما تقتضيه من تنقل و ترحال طلبا للماء و المرعى هي السبب في ذلك .

2_ نشأة اللغة الفصحى :

تشير مصادر البحث إلى الطابع القبلي للحياة في عصور ما قبل الإسلام ، إذ كانت القبائل العربية منتشرة في كلّ مكان من أرجاء الجزيرة العربية ، وكان لكلّ قبيلة منها لهجتها الخاصة بها ، ثمّ ما لبثت تلك اللهجات أن أخذت تتقارب فيما بينها ، وتعمل فيها عوامل الامتزاج و التنقيح والاختيار إلى أن ظهر من بينها ما يسمّى باللغة المشتركة الموحّدة .[4] هذه اللغة التي رأى فيها العرب قاسما مشتركا يربط بينهم ، و يوحّد لسانهم ، وقد استخدمها الشعراء في قصائدهم وتباروا فيها في أسواقهم العامّة و منتدياتهم الأدبية ، وتناقل الرواة بها أجود القصائد و أروع الأشعار في سائر أنحاء الجزيرة العربية ، و أصبحت بذلك لغة الشعر و الأدب أو ما يعرف بديوان العرب .

---

[3])إن أقدم كتابة عربية وصلت إلينا من فترة ما قبل الإسلام تمّ اكتشافها في عام 1901 في النمارة التي تقع على بعد 120 كم جنوب شرق دمشق ، وهي عبارة عن نقش كتب على قبر الملك امرئ القيس يعود إلى عام 328م ، و يعرف بنقش النمارة.

[4]) ينظر مشكلة العامية و الفصحى في تعليم اللغة العربية للأجانب /مصطفى النحاس عبد الواحد ص 21 – 25 ، و 54 – 55 ؛ و فصول في فقه العربية / رمضان التوّاب ص 76 – 95 ؛ ومدخل إلى فقه اللغة العربية / أحمد محمد قدور ص 63 – 69 .

أنّنا لا نستطيع أن نحدّد تماما الزمن الذي اتخذت فيه لغتنا العربية شكلها النهائي الذي تمثله الفصحى . هذا الشكل الكامل النضج ، سواء من حيث الإعراب و التصريف و الاشتقاق أو من حيث التنوّع الواسع في المصادر و الجموع و حروف الجر و العطف و أدوات الاستثناء و التعريف و التنكير و الممنوع من الصرف وغير ذلك . إنّ هذا الشكل المتكامل في نظامه الصوتي الذي اقتضى أن تحتفظ العربية بأصوات فقدتها أخواتها الساميّات من مثل الثاء و الخاء و الذال و الظاء و الضاد و الغين ، و الصرفي الذي يحتفظ بجموع التكسير ، و النحويّ الذي يقوم بمجمله على الإعراب ، لا نجد له مثيلا في معظم شقيقات العربية . إنّه لمن المؤكد أنّ العربية الفصحى لم تصل إلى هذه الصورة التامّة إلّا بعد مراحل طويلة مرّت بها من النمو و التطوّر ، و إنّ كانت الوثائق و الآثار الكتابية المحدودة التي وصلت إلينا في مرحلة متأخّرة لا تساعدنا على معرفة البدء الحقيقي للعربية الفصحى التي لا نجدها إلا متألقة متداولة في أشعار ما يعرف بالعصر الجاهلي في أواخر القرن الخامس الميلادي و أوائل السادس منه .[5]

إن النقوش القليلة التي تمّ العثور عليها ، والتي تعود إلى القرن السادس الميلادي من مثل نقش زبد المؤرخ بسنة 512 للميلاد ، و نقش حرّان اللّجا المؤرخ بسنة 568 للميلاد تظهر أنّ الخطّ العربيّ اكتمل في بداية القرن السادس ، و أنّ الفصحى نفسها اكتملت و أخذت شكلها النهائي بنصوص الشعر الجاهلي التي يرجع أقدمها إلى حوالي منتصف القرن الخامس ، فمنذ هذا التاريخ تقاربت لهجات القبائل ، و أصبحت هناك لغة أدبية عامة مشتركة بدأت تنتشر في ربوع الجزيرة العربية و هي التي تعرف بالفصحى ، وبها أخذ الشعراء ينظمون قصائدهم ، و الخطباء يلقون خطبهم .

وعندما نزل بها القران الكريم بمعانيه السامية و قيمه الرفيعة و بيانه المعجز عززّ من مكانتها و رفع من شأنها ، و أشاد بتمايزها عن غيرها من اللغات . و ليس هناك من شكّ في أنّ هذه اللغة الفصحى كانت تفهم من قبل جميع الناس في شتى القبائل العربية ، و لهذا السبب نزل القران الكريم بها . و نستنتج من الحديث النبوي الشريف " أنزل هذا القران على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تيسر منه " أنّ هناك إشارة إلى انتشار اللهجات بين القبائل ، و أن الرسول (ص) كان يرخّص قراءة القران بما يستغرق هذه اللهجات ، لكي يقرأ كل بلهجته ريثما تؤاخي لهجة القران المشتركة بينهم .[6]

---

[5]) ينظر العصر الجاهلي / شوقي ضيف 117 – 121 .

[6]) ينظر القراءات الشاذّة و توجيهها النحوي / محمود الصغير ص 18 ، 21 .

و الواقع أنّ الحديث عن اللغة العربية في ظلّ الإسلام يأخذ منحى جديدا ، فقد أصبحت لغة الدين و الدولة ، و العلم و الأدب ، و بها وضعت آلاف المصنفات و الكتب في مختلف مجالات العلم و المعرفة ، و إليها ترجمت خلاصة علوم اليونان و الهند و الفرس إلى أن أصبحت الركن الأساسي في بناء الأمّة العربية و العامل الأوّل في التعبير عن مقوّماتها الفكرية و العلمية و الثقافية و الحضارية .

3_ الواقع اللغويّ الراهن في الوطن العربيّ :

ليس هناك بقعة في العالم المعاصر تشبه البقعة العربية في غناها اللغوي و تنوعها الحضاريّ و الثقافيّ و الفولوكلوريّ .

فقد عايشت المنطقة العربية عبر الزمن مختلف العهود و الحضارات و جاورت و خالطت عددا كبيرا من الشعوب و الأعراق ، و قد ترك هذا التجاور و الاختلاط _ بالتأكيد_ أثره في الواقع اللغويّ ، ممّا كان سببا مباشرا في نشوء الازدواجية اللغوية ، ومن يدقّق النظر في الواقع اللغوي الراهن يجد فيه استمرارا للواقع اللغوي التاريخي الذي كان سائدا منذ فترة تكوّن اللغة العربية الموحّدة في شبه الجزيرة العربية التي اصطلحنا على تسميتها بالفصحى إلى جانب لهجات القبائل ، فما زالت الازدواجية اللغوية على حالها ، و ما زال هناك لغتان أو على الأصح مستويان لغويان يتميّزان من بعضهما بوضوح ، فالمستوى الأوّل : وهو المستوى الرسمي الذي تمثله اللغة العربية الفصحى بقواعدها المعروفة في الأصوات و النحو و الصرف .[7]

ويستخدم هذا المستوى في التعامل الرسمي و التعليم و البحث العلميّ و في الكتابات الأدبية و المحاضرات العلمية و الثقافية ، و العبادات و الإعلام ....إلخ .

وما تجدر الإشارة إليه ها هنا أنّ هذا المستوى هو الذي نلجأ إليه عند الكتابة ، أو كما يسمّيه البعض باللغة المكتوبة .

أمّا المستوى الثاني فهو المستوى الذي نستخدمه في حياتنا اليوميّة خارج نطاق التعامل الرسميّ ، و نستخدم فيه لهجتنا المحليّة التي تعلمناها في البيت أو الشارع ، و في هذا المستوى تتم جميع عمليات التفاهم و التعامل الشفهي ، وهو الذي يطلق عليه البعض اسم اللغة المنطوقة أو المحكية . لقد كان هذان المستويان سائدين منذ نشأة اللغة العربية و تكوّنها ،

---

[7]) مع الاعتراف بحقيقة واحدة وهي أنّ اللغة العربية التي نستخدمها اليوم بوصفها " اللغة الفصحى " ليست تلك اللغة التي وضع لها النحاة و الصرفيون القواعد المعروفة ، لأنّ مادتها تغيّرت تغيّرا كبيرا ، وهي مستمرّة في التغيّر على السنة الناطقين بها ، ما دامت الحياة متغيّرة .

فأفراد القبائل العربية كانوا قديما يتكلمون بلهجاتهم المحلية في موضع سكناهم ، و ينظمون أشعارهم باللغة الفصحى التي يتوجهون بها إلى سائر القبائل على تباعد مضاربهم و تنوّع منازلهم ، كما هو الأمر اليوم تماما .

4_ رأي المستشرقين الألمان بالازدواجية اللغوية العربية :

يرى المستشرقون الألمان أنّ اللغة العربية تظهر بوضوح في مستويي تطور مختلفين :

أ _ اللغة الفصحى أو كما يسمّونها العربية القديمة .

ب _ اللهجات المحليّة أو كما يسمّونها العربية الجديدة .

فالعربية الفصحى لها نمط لغوي قديم جدّا يمكن مقارنتها باللغة الأكّاديّة من نواح كثيرة ، و منها الإعراب الذي تخلت عنه الأكّاديّة فيما بعد ، وهي تظهر لنا بما يمكن تسميته بالعربية الكلاسيكية ، وهي لغة ذات معايير و قواعد قياسية ثابتة تصل أقدم نصوصها ووثائقها إلى فترة ما قبل الإسلام .

إنّ الشعر العربيّ القديم الذي جمع و دوّن من قبل اللغويين العرب في بداية القرن الثامن الميلاديّ و الذي ترجع روايته إلى النصف الأوّل من القرن السادس يشكّل مع القران الكريم الذي تنزّل بين سنتي **610 – 632** نمطا نموذجيّا للغة العربية الفصحى .

و قد استند لغويّو القرنين الثامن و التاسع الميلاديين على القران الكريم و الشعر العربيّ في وضع و صياغة قواعد اللغة العربية الكلاسيكية ، نحوها و صرفها ممّا جعلها مهيّأة لأن تصبح لغة الثقافة و الحضارة الإسلاميّة على مرّ العصور.

أمّا اللهجات المحليّة أو ما يسمّى بالعربية الجديدة فهي تشبه في نشأتها و نمطها اللغويّ التطوّر الذي حصل داخل اللغة الآرامية تماما ، وهي تواجهنا في المقام الأوّل كلهجات عربية محكية في العصر الحاضر ، ربّما يعود نمطها اللغويّ إلى عصور قديمة تصل إلى القرن التاسع الميلاديّ عندما كان لكل قبيلة لهجتها .

5– نشأة اللهجات العربية المحليّة :

إنّ السؤال الذي يطرح نفسه متى نشأت اللهجات العربية المحليّة (العربية الجديدة) ؟ ومتى توقفت العربية الفصحى عن أن تكون لغة محكيّة في الحياة اليومية ، لتقتصر في الاستعمال على الأدب و العلم و إدارة الدولة ، وتبقى حيّة في التعامل الرسمي فقط ؟

و للإجابة عن هذين التساؤلين نبادر إلى القول :

إنّه لمن الصعب جدّا إعطاء حكم دقيق حولهما ، لأنّ المصادر و الوثائق الكتابية القليلة التي وصلتنا من مرحلة ما قبل الإسلام و ما بعده بقليل لا تقدم لنا صورة واضحة أبدا ، ولا تعطينا إجابة شافية عن الواقع اللغوي الحقيقي في تلك الفترة ، وذلك بسبب خصوصيات ضبط الكتابة العربية **Orthographie** ، ويسوق لنا المستشرقون الألمان رأيين مختلفين أو فرضيتين حول هذا الموضوع ، وهما :

1_ الفرضيّة الأولى : تقول بأنّ الازدواجية اللغويّة كانت موجودة على حدّ سواء في معظم مدن الجزيرة العربية مثل مكّة وغيرها ، و كذلك عند القبائل العربية البدوية في زمن الرسول محمّد (ص) ، و ربّما قبله بفترات ، إذ كانت هناك اللهجات المحليّة التي اصطلحنا على تسميتها بنمط العربية الجديدة ، أيّ العربية التي يتمّ تكلمها بدون نهايات إعرابية . أمّا اللغة الفصحى فكانت تقتصر على الشعر ، و هي تمثّل نمط العربية القديمة ، وهذه يتم اكتسابها وفق تقاليد معينة ، وهي تختلف قليلا أو كثيرا عن لغة الحياة اليوميّة المتداولة .

ويمثّل هذه الفرضية عدد من المستشرقين الألمان أمثال أوغست فيشر و كارل فوللرس و أنتون شبيتالر وهانس فير و غيرهم ، الذين يستندون قبل كلّ شئ إلى طريقة ضبط الكتابة العربية **Orthographie** التي تكتب _ وكما هو معروف _ الحروف فقط ، و تهتمّ جزئيّا بالحركات الطويلة ، وتهمل تماما كتابة الحركات القصيرة .

فلو كانت اللغة العربية الفصحى (نمط العربية القديمة) هي السائدة فعلا حتّى نهاية القرن السابع الميلادي بشكل مطلق ، لتوجّب أن تكتب منطقيّا النهايات الإعرابيّة في حالة تنكير الاسم **(-un , -in , -an)** وكذلك علامة التأنيث **(-at)** بما يناسبها من علامات ، كما يحدث حقيقة في اللغة العربية الجنوبية **(Altsuedarabisch)** . و الواقع أن النقوش العربية التي وصلت إلينا من فترة ما قبل الإسلام ، لم تكتب فيها علامة التنوين **(-n)** و لا علامة التأنيث **-) (t** ، وهذا ما يمكن تفسيره ببساطة بأنّ طريقة الكتابة العربية تثبت بوضوح انتشار نمط العربية الجديدة ، أي اللهجات المحليّة ، والدليل على ذلك كتابة علامة التأنيث في نهاية الكلمة في ذلك الوقت بالهاء **(-ah)** أو **(-a)** بالوقف ، و ليس ب **(-atu)** أو **(-atun)** أبدا .[8]

[8]) ينظر كتاب " Handbuch der Arabischen Dialekte , von W.Fischer und O.Jastrow,S.16 " .

2_ الفرضية الثانية : وتنصّ على أنّه كانت هناك لغة واحدة في زمن الرسول محمّد (ص) والعقود التي تليه ، وهي اللغة العربية الفصحى (نمط اللغة العربية القديمة) .

وكانت هذه اللغة تستخدم في الشعر والحياة اليوميّة على حدّ سواء ، ولم يكن هناك اختلاف بين اللغة التي نعرفها من القران الكريم و الشعر الجاهليّ وبين اللغة المحكية في ذلك الوقت .

أمّا اللهجات المحليّة (نمط العربية الجديدة) فنشأت بعد الفتح الإسلامي لبلاد الشرق الأدنى وشمال إفريقيا ، وإيجاد نظام الخلافة ، ودخول شعوب هذه البلدان في الإسلام ، ونتيجة للاحتكاك الذي حصل بين العربية وبين لغات الشعوب التي كانت تقطن هذه المناطق كالآرامية و اليونانيّة و القبطيّة و البربريّة و الرومانيّة توقّفت اللغة العربية الفصحى (نمط العربية القديمة) عن أن تكون لغة محكيّة ، وعندها فقط نشأت اللهجات المحليّة (نمط العربية الجديدة) .

ويمثل هذه الفرضية كلّ من تيودور نولدكه و يوهان فوك ، و يوسوا بلاو و غيرهم . فيرى نولدكه مثلا أنّ عملية ضبط الكتابة العربية Orthographie وضعت في الأساس لتطابق لفظ اللهجات المحليّة (نمط العربية الجديدة) من حيث عدم كتابة النهايات الإعرابية (-n) وعدم كتابة علامة التأنيث (-at) ممّا يمكن تفسيره بأنّ كل كلمة لم تكن تكتب في شكلها السياقي ، و إنما منفصلة عن غيرها في وضعية الوقف (Pausalform) ، وهكذا فإنّ المرء كان يكتب _ كما يرى نولدكه _ لفظ كل كلمة في وضعية الوقف مفصولة عن السياق الذي تقع فيه .

وهذه الفرضيّة نجدها مطابقة لتقاليد اللغويين العرب التي لا تقرّ إلا بوجود شكل واحد للغة ، و هو اللغة العربية الفصحى (الكلاسيكية) بنمطها اللغوي القديم .

أمّ اللهجات المحليّة (النمط اللغوي الجديد للعربية) فما هي برأيهم إلا لهجات محكيّة لا يمكن أن تكون أكثر من وسائل تعبير خاطئة أو عاميّة فاسدة نشأت بعد اعتناق غير العري الإسلام ، و اختلاط الشعوب ببعضها خارج الجزيرة العربية .

إنّ اللحظة الحاسمة في ولادة اللهجات المحليّة (نمط العربية الجديدة) كانت في اختفاء حركات الإعراب القصيرة من أواخر الكلمات ، و باختفائها تكون الأسماء قد فقدت نظام تصريفها الإعرابي بالكامل .

و يمكن أن نستنتج من كتابة أسماء الأعلام العربية في نقوش الأنباط الآرامية بأنّ نظام الإعراب و الحركات الإعرابية كان قد بدأ يفقد وظيفته في الفترة الواقعة بين 300 ق.م – 300 بعد الميلاد في اللغة العربية الفصحى (نمط اللغة العربية القديمة) وتحطّم تماما في نهاية هذه

المرحلة . ولهذا السبب فإنّ اللهجات المحليّة يمكن أن تكون قديمة جدّا مثلها مثل أقدم وثائق الشعر العربي القديم الذي وصلنا على أنّه يمثّل النموذج الأعلى للغة العربية الفصحى .

وتظهر آثار اللهجات المحلية الجديدة في كتابات القرنين التاسع والعاشر الميلاديين من خلال الخروج عن القواعد المقررة وظهور الانحرافات اللغوية التي تخالف الاستعمال اللغوي ، ممّا يبيّن لنا أنّ شكل اللهجات العربية الحالي قد تكوّن في هذين القرنين ، و بدأ منذ ذلك الوقت يتدفق السيل الغزير من الرسائل و المصنّفات التي تعالج أخطاء الشعب اللغوية تحت ما يسمّى بكتب لحن العوام ، هذه الكتب التي تعد مصدرا هامّا للبحث في اللهجات العربية المحليّة .

و ما يشار إليه ها هنا أنّ هذا النوع من المصنّفات لم يظهر لأنّ الشعب لم يكن يتكلم في حياته اليومية اللغة العربية الفصحى ، بل لأنّ استخدام اللهجات العربية الجديدة كان قد تسرب إلى لغة الكتابة أيضا . إنّ مثل هذا النوع من " العربية ذات الأخطاء " بنظر اللغويين العرب ، تتمثل في مجموعة كبيرة من النصوص التي صنفها عدد من المؤلفين الذين لم يكونوا يتقنون اللغة العربية الفصحى جيدا ، وبسبب وقوع هذه النصوص بين اللغة السليمة قواعديا (الفصحى) و بين اللهجات المحكيّة تصنف على أنّها من العربية المتوسطة .[9]

ومهما يكن الأمر فإنّ الغموض ما زال يحيط بالأسباب الحقيقية التي أدت إلى نشوء اللهجات العربية المحليّة ، وتنوعها بهذا الشكل الفريد من نوعه في العالم ، ومازلنا نجهل أسباب التطوّر التي حصلت في كلّ لهجة على حدا ، والعوامل التي ساهمت في توجيهها هذه الوجهة أو تلك . إنّ اللهجات المحليّة العربية تظهر على كل حال الاتجاه للتكيف مع بعضها ، وتستجيب باستمرار للتأثير المتزايد عليها من اللغة العربية الفصحى ، فمتى يأتي اليوم الذي تزول فيه الفروق بين هذه اللهجات ، وتصبح فيه موحّدة ؟

6_ دراسة اللهجات العربيّة في الجامعات الألمانيّة :

لابدّ من الإشارة في البداية إلى أن ألمانية بدأت بدراسة اللغة العربية في مرحلة مبكرة نسبيا ترجع إلى العصور الوسطى ، وكان ياكوب كريستمان **J . Christmann** (**1554–1613**) أوّل من حاول تدريس اللغة العربية ونشرها في ألمانيا ، فقد وضع كرّاسا لتعليم كتابة الحروف العربية ، و ترجم أجزاء من الإنجيل إلى العربية للتمرّن على القراءة ، و صنّف فهرسا

[9]) ينظر Handbuch der Arabischen Dialekte , W . Fischer u . O . Jastrow , S . 18 .

موجزا لمجموعة من المخطوطات العربية التي كانت في حوزة أحد النبلاء الألمان ، ثمّ ما لبثت الدراسات العربية أن نشطت فيما بعد ، وقد كان لكلّ من فرايتاك Freitag ، وكاسباري Caspari ، و نولدكه Noeldeke ، و برجشتراسر Bergstraesser ، وكارل بروكلمان ، وغيرهم دور بارز في تطوير الدراسات العربية في ألمانيا و إغنائها ، وقد أظهر المستشرقون الألمان القدامى اهتماما كبيرا بالتراث العربيّ وقاموا بتحقيقه و نشروا عشرات الكتب منه . وقد تعددت الاتجاهات التي سارت بها دراسات اللغة العربية و طرق تعليمها .[10]

أمّا ما يسمى بعلم اللهجات العربيّة أو ب Arabische Dialektologie فالمعروف أنّ للبلدان الناطقة بالألمانية فيه تقاليد عريقة ، تعود جذورها إلى أكثر من مئة سنة خلت ، فإلى Stumme و Spitta و Kampffmeyers و Socin و Reinhardt تنسب أولى الأعمال التي دونت حول بعض اللهجات العربية .

فمنذ ذلك الوقت بدأ المستشرقون الألمان بالاهتمام باللهجات العربية ، وقد ازداد هذا الاهتمام بعد الحرب العالمية الثانية خاصّة ، بسبب التقدم التقني الهائل الذي حققته وسائل الاتصال ، و سهولة الحركة والانتقال بين البلدان ، و تشجيع مراكز البحث العلمي على القيام بأبحاث ميدانية في البلاد العربية ، و استطاع هذا العلم أن ينهض على قدميه في السنوات الأخيرة ، و أن يحقق تقدما كبيرا ، فبعد أن كانت نقاط صغيرة فقط مضاءة في خضم بحر اللهجات الكبير ، أصبحت لهجات محلية كثيرة مدروسة في أيامنا هذه .[11] ولعلّ أهمّ جامعتين في ألمانيا مختصّتين حاليا بالبحث في اللهجات العربية هما جامعتا إرلنغن Erlangen و هايدلبرغ Heidelberg ، إذ تقومان بالعديد من مشاريع دراسة اللهجات في البلاد العربية .[12]

إنّ الهدف الذي يسعى علم اللهجات العربية في ألمانيا Arabische Dialektologie إلى تحقيقه ، ليس زرع بذور الشقاق بين الناطقين بالعربية ، ولا الدعوة إلى الترويج لاستخدام اللهجات العامية بدلا من الفصحى ، أبدا إنّ ما يهدف إليه حقيقة هو دراسة هذه اللهجات المحليّة التي يتكلمها الناطقون بها دراسة علمية موثّقة كما هي في وضعها المنطوق ، إذ غالبا ما تجرى هذه الدراسات على شكل أبحاث ميدانية يقوم فيها الباحثون بإعداد عدد كبير من التسجيلات الصوتيّة للناطقين بهذه اللهجة أو تلك ، ثمّ يبدؤون بعد ذلك بدراستها ، فيصفون

---

[10]) إنّ ما تجدر الإشارة إليه ها هنا أنّ معظم الجامعات الألمانية التي تقوم بتدريس اللغة العربية تبدأ بالفصحى أولا ، إذ يتلقى الدارسون قواعد اللغة العربية الفصحى ، و يتعلمون قراءة نصوص التراث و تحليلها ، ثمّ تأتي بعد ذلك مرحلة دراسة اللهجات لمن يريد . و الاستثناء الوحيد في ذلك هو جامعة امستردام في هولندا ، إذ تبدأ دراسة اللغة العربية فيها بدراسة اللهجة المصرية لعدد من الفصول الدراسيّة ، ثمّ بعد ذلك تأتي دراسة اللغة الفصحى .

[11]) ينظر على سبيل المثال فهرس كتاب Arabische Dialektgeographie , von P . Behnstedt u . M . Woidich ففيه أسماء المئات من الكتب التي تدرس اللهجات العربية .

[12]) تقوم الجامعتان حاليا بالعديد من المشاريع لدراسة اللهجات العربية في كلّ من فلسطين و المغرب و تونس و لبنان و سورية ، فعلى سبيل المثال نذكر الدراسة التي تعدّ حول لهجة " محردة " في سورية ، ولهجة " صور " في لبنان .

أوّلا نظامها الصوتي وما فيها من أصوات و حركات ، ثمّ ينتقلون بعد ذلك إلى دراسة نظامها الصرفيّ والنحويّ وما فيها من ضمائر و أسماء و أفعال و كلمات مميّزة لها ، و أخيرا يختمون هذه الدراسة بنشر النصوص التي قاموا بتسجيلها و ترجمتها إلى لغتهم ومن ثمّ إعداد قوائم بالمفردات و الثروة اللغوية الواردة في هذه النصوص . إنّ أهمّ ما يتّسم به علم اللهجات العربية في ألمانيا هو هذه الأبحاث الميدانية الوصفية الدقيقة التي يقوم بها .

و من هذا المنطلق تقسم اللهجات العربية إلى خمس مجموعات كبيرة ، تتميّز كلّ منها بعدد من الخصائص و السمات المشتركة في الأصوات و النحو و الصرف و المفردات ، وهي :

1_ لهجات بلاد الشام (سورية و لبنان و فلسطين و الأردن).

2_ لهجات العراق و بلاد الرافدين .

3_ لهجات اليمن و الجزيرة العربية.

4_ لهجات وادي النيل (مصر و السودان).

5_ لهجات المغرب العربيّ وشمال أفريقيا .

إنّ كل مجموعة من هذه المجموعات الكبيرة تقسم بدورها إلى مجموعات أصغر ، لها سمات مشتركة تميّزها من غيرها ، وكلّ مجموعة من هذه المجموعات الأصغر تقسم بدورها إلى عدد كبير من اللهجات التي تصنّف تحتها ، أو تنتمي إليها ، فكما هو معروف فإنّ لكلّ مدينة لهجة خاصّة بها ، و هي تتميّز من غيرها ، و كثيرا ما يكون في المدينة الواحدة أو المنطقة الواحدة أكثر من لهجة ، فلهجات بعض المدن السورية مثل : دمشق أو حلب أو حمص أو دير الزور أو غيرها ليست واحدة ، و لكلّ منها خصوصيّة محدّدة ، وإن كانت تصبّ في الإطار العام في مجموعة اللهجات السورية .

و لو أخذنا نتائج الأبحاث التي أعدّت حول اللهجات في سورية مثلا ، لتبيّن لنا أنّ سورية هي ملتقى اللهجات العربية حقيقة ، ففيها ستّ مجموعات لهجيّة كبيرة ، نذكر منها على سبيل المثال مجموعة اللهجات الشاميّة الحضريّة ، وهي تشمل في الواقع بالإضافة إلى لهجات سورية بعض اللهجات اللبنانية و جزءا من اللهجات الفلسطينيّة .

و يتفرّع عن هذه المجموعة الكبيرة أكثر من خمس و عشرين لهجة في سورية فقط . و تأتي بعدها مجموعة كبيرة ثانية تشمل اللهجات البدوية التي تربط سورية بالسعودية و الأردن و العراق .

أمّا المجموعة الثالثة فهي لهجات حوران التي تشبه اللهجات الفلسطينيّة الريفيّة إلى حدّ كبير ، و العنصر البدوي فيها واضح تماما . و هناك مجموعات لهجيّة صغيرة مردّها إلى الطبقة

العربية الأولى ، أي إلى العرب الذين استوطنوا المنطقة قبل الإسلام ، و توجد هذه اللهجات في المنطقة الممتدّة من القريتين إلى القامشلي ، و بعضها يقترب من اللهجات العربية الأناضولية كلهجة مدينة ماردين ، و بعضها مختلط باللهجات البدوية كلهجة مدينة دير الزور .[13]

أمّا الفروق الأساسيّة بين هذه اللهجات فتخرج عن موضوع بحثنا ، ويحتاج توضيحها إلى دراسة مستقلة ، و نكتفي هنا بالإشارة على سبيل المثال إلى أنّ الفارق الحاسم بين لهجات الحضر و لهجات البدو على المستوى الصوتيّ يكمن في طريقة نطق حرفي القاف و الكاف ، و تختصّ اللهجات البدويّة بأنّها ما زالت تحتفظ بالتمييز بين المذكّر و المؤنّث عند جمع الأفعال و الضمائر ، فهي مازالت تستخدم (هم) للمذكر و (هنّ) للمؤنّث ، على النقيض من أغلب اللهجات الحضرية التي تكتفي ب (هنّ) للاثنين معا .

إنّ البحث في اللهجات العربية في ألمانيا قد قطع أشواطا متقدّمة ، فقد تأسّست في عام **1993** الجمعيّة الدولية للهجات العربية التي تعرف باسم **AIDA (Association Internationale de Dialectologie Arabe)** و عقدت مؤتمرها الأوّل في باريس بحضور عدد كبير من المستشرقين و المشتغلين باللهجات العربية ، ثمّ توالى بعد ذلك عقد المؤتمرات تباعا بمعدّل مرّة كلّ سنتين تقريبا ، ليعقد حتى الآن سبعة مؤتمرات .[14]

وقد عكف علماء اللهجات الألمان منذ فترة مبكّرة نسبيّا على وضع الأطالس اللغوية (وهي خرائط يبيّن عليها توزّع اللهجات المحليّة ، والاختلافات فيما بينها في الأصوات و الصرف و الثروة اللغوية) .

فوضع برجشتراسر **Bergstraesser** في عام **1915** أطلس لغويا لسورية و فلسطين ، حاول فيه أن يوزّع اللهجات المحليّة على الخرائط حسب طريقة نطقها في كل من سورية و فلسطين . ورغم اتصاف هذا الأطلس اللغويّ بالبدائيّة فإنّه يبقى له فضل السبق التاريخي .[15] ثمّ توالت بعد ذلك سلسلة من الأطالس اللغويّة التي يظهر فيها التوزّع اللغوي للهجات المحليّة الموجودة في البلاد العربية المعدّة لها ، فكان هناك أطلس لغويّ شامل لمصر ، أعدّه **Peter Behnstedt** و **Manfred Woidisch** في عام **1985** . و كان هناك أطلس لغوي لشمال اليمن

---

[13]) ينظر الأطلس اللغوي الذي وضعه الباحث الألماني بيتر بنشتيد باللغة الألمانية و عنوانه :
. Sprachatlas von Syrien (Kartenband + Beiheft) , Peter Behnstedt , Harrassowitz Verlag . 1997
بالإضافة إلى الحوار الذي أجريته معه ، ونشر في صحيفة الحياة ، العدد 12933 تاريخ 1998/8/1 .

[14]) وهي : المؤتمر الأول في باريس عام 1993 ، والمؤتمر الثاني في كامبرج عام 1995 ، و المؤتمر الثالث في مالطا عام 1997 ، و المؤتمر الرابع في مراكش عام 1999 ، و المؤتمر الخامس في كادس (إسبانيا) عام 2002 ، و المؤتمر السادس في تونس عام 2004 ، والمؤتمر السابع في فيينا (النمسا) عام 2006 .

[15]) ينظر :
Sprachatlas von Syrien und Palaestina , G . Bergstraesser . In : ZDPV XXXVIII , 169-222 ; sowie Arabische Dialekgeographie , von Peter Behnstedt , u . Manfred Woidich , Brill . Leiden . Boston 2005 , S . 4 – 7 .

، و آخر لتونس ، وأيضا للمغرب .[16] إلّا أنّ أهمّ أطلس لغوي شامل أعدّ حتّى الآن كان من نصيب سورية ، فقد احتاج الباحث بيتر بنشتيد إلى أكثر من عشر سنوات للإعداد لهذا الأطلس اللغوي الذي صدر في عام **1997** بعد إقامة في سورية استغرقت خمس سنوات (**1985 – 1990**) أمضاها الباحث في جمع مادّة البحث ، و رصد جميع اللهجات و المجموعات اللغوية الموجودة في جميع المناطق و القرة السورية ، لتبدأ بعدها المرحلة الثانية ، وهي مرحلة رسم الخرائط بالحاسوب و توزيع المواد اللغوية عليها . و قد عمد في هذا الأطلس اللغوي إلى وضع خرائط كبيرة شاملة لجميع المناطق السورية ، بلغ عددها /**518**/ خريطة تتوزع على **1037** صفحة ، وحدّد عليها الاختلافات و الفروق في نطق الحروف و الأصوات ، وأشار إلى التباين و التنوّع في الصيغ الصرفية و مفردات الثروة اللغوية .[17]

7_ تحدّيات الازدواجيّة اللغوية في عصر العولمة :

الازدواجية اللغويّة ظاهرة طبيعية ، وهي موجودة في كلّ اللغات ، وليس هناك لغة واحدة في العالم يكتب فيها ناطقوها كما يتكلمون ، وإنّما الفارق بين لغة الكتابة و اللهجات المحكيّة قد يتّسع أو يضيق وفقا لطبيعة اللغة و صعوبة قواعدها و معطيات واقعها الاجتماعي و السياسي و الفكريّ و الثقافيّ .

والواقع أنّ البون الشاسع بين لغتنا الفصحى و لهجاتها المحكيّة مردّه إلى أنّ الطفل يكتسب اللغة المحكيّة في البيت أوّلا مع الحليب الذي يرضعه ، إذ ينمو و ينشأ و يترعرع مع هذه اللغة ، ثمّ يبدأ بعد ذلك بتعلم الفصحى و يتلقّى بعض مبادئ القراءة و الكتابة بها في المدرسة بعد أن يكون عمره قد أصبح خمس أو ستّ سنوات على الأقلّ عن طريق التلقين و شرح قواعد النحو النظريّة التي لا تقدّم له في أغلب الأحيان على أمثل وجه .

إنّ الازدواجية اللغوية الموجودة في البلاد العربية تختلف عن الازدواجية اللغوية الموجودة في البلاد الأخرى ، لأنّه ليس هناك بقعة في العالم مرّت بالظروف و الأحوال و المؤثرات نفسها ، التي مرّت بها المنطقة العربية ، فالتطور الذي حدث داخل اللغة العربية ، وامتداد الرقعة الجغرافية للوطن العربيّ و اتساعها ، وتنوّع الشعوب و الأعراق فيها ، فضلا عن التاريخ المديد

---

[16]) ينظر :
Arabische Dialektgeographie (Eine Eifuehrung) , von Peter Behnsted , u . Manfred Woidich , S . 5 – 7

[17]) ينظر : Sprachatlas von Syrien (Kartenband + Beiheft) , Peter Behnstedt , Harrassowitz Verlag , 1997

للعربية ،[18] و المراحل و العصور الطويلة التي مرّت على المنطقة بكلّ ما فيها من ماس ومحن وأحداث جسام ، كلّ ذلك أدّى إلى توسيع الهوّة بين اللغة الفصحى و لهجاتها المحكية و تعميق هذا التباعد بينهما .

فالازدواجية اللغوية كانت موجودة في العربية منذ عهودها الأولى ، وما زالت موجودة فيها على الدوام ، ولم تفارقها عبر الزمن ، ويبدو أنّها قدرنا الذي لا مفرّ منه ، إذ علينا أن نسلّم بهذا القدر ، فنستخدم الفصحى للكتابة و التعامل الرسمي ، ونستخدم اللهجات المحكيّة للحياة اليوميّة و المواقف غير الرسميّة .

إنّ اللهجات العربية المحكيّة لم تتحوّل أبدا إلى لغة مكتوبة ، ولا يمكن أن تتحوّل ، لأنّ نظام الكتابة المتداول الذي يهمل كتابة الحركات لا يساعد على ذلك أبدا ، أضف إلى ذلك أنّ هناك حركات في اللهجات المحليّة غير متوفّرة في العربية الفصحى مثل : / e/ و / o/ و غيرها من الحركات المركبة . ولهذا السبب بقيت اللهجات العربية المحلية و ستبقى محصورة في نطاق الاستخدام بالأحاديث و التّعابير الشفوية و في المواقف الحياتية اليوميّة بصورة أساسية .[19]

إنّ كل الدعوات التي طرحت من أجل إحلال العاميّات محلّ الفصحى لم تنجح ، ولن تنجح لأنّ هذه العاميّات عاجزة عن أن تفي بكل حاجات العقل و النفس ، و أن تنهض برصدها و تتّبعها ثمّ بالتعبير الجمالي عنها . إنها عاجزة عن أن تنشئ أدبا له أفكاره و مثله ، لأنّ أكثر المثقفين و الدارسين على الساحة العربية غير مقتنعين بمثل هذه الدعوات ، و لم يلقوا إليها آذانا صاغية .[20]

---

[18]) يقسم المستشرق الألماني فيشر اللغة العربية إلى أربع مراحل أساسية و هي :
1- مرحلة ما قبل الكلاسيكية 2- مرحلة اللهجات العربية القديمة 3- المرحلة الكلاسيكية 4- مرحلة ما بعد الكلاسيكية .
ينظر الكتاب : Grundriss der Arabischen Phylologie , von Wolfdietrich Fischer , Bd . I , S . 36 - 50

[19]) إن الاستثناء الوحيد الذي حصل في هذا المجال هو اللغة المالطية التي طوّرت لهجتها المحليّة العربية إلى لغة رسميّة مكتوبة مبتعدة في ذلك عن اللغة العربية الفصحى .

[20]) ارتبطت الدعوة إلى العاميّة في بداية عهدها في أواخر القرن التاسع عشر و بدايات القرن العشرين بالمستعمر الأجنبي أوّلا ، كما هو الحال في كلّ من الجزائر و مصر و لبنان . فقد قام المهندس الإنكليزي بمصر ويلكوكس في عام 1893 بإلقاء محاضرة دعا فيها إلى إحلال العاميّة محل الفصحى في الكتابة والتأليف . ثمّ ما لبثت هذه الدعوة أن انتقلت فيما بعد إلى أبناء الوطن المحليّين في بعض الأقطار العربية من أمثال سلامة موسى في مصر الذي ربط دعوته إلى هجر الفصحى بدعوته العامة إلى إصلاح المجتمع و تقدم الأمّة ، و سعيد عقل في لبنان الذي حاول أن يطابق بين الكلمة المنطوقة و الرمز المكتوب ، فدعا إلى استبدال الأحرف العربية باللاتينية و انتهى به الأمر في خاتمة المطاف إلى أنّ اللغة الفصحى لغة ميّتة .
لقد اتّخذ الهجوم على اللغة الفصحى في بعض الأقطار العربية عدّة أشكال نجملها فيما يلي :
1 – التشكيك في اللغة الفصحى و عدم قدرتها على مواكبة حاجات العصر ، فهي لا تصلح للعلم ، وليست لغة تكنولوجيا ، وإنّها لغة الكتب الصفراء ، وعلينا لذلك أن نستخدم اللغة الأجنبية كالإنكليزية و الفرنسية . (نذكر هنا بالقرار الوزاري الذي كان قد صدر عام 1889 في مصر و القاضي بأن تكون لغة التعليم في المدارس المصرية اللغة الإنكليزية) .
2 _ اتّهامها بالجمود و التعقيد و البداوة ، و إلقاء مسؤوليات التخلف و الانحطاط عليها .
3 _ الدعوة إلى استبدالها بالعامية التي تتمتع بمزايا الحيويّة و السهولة و المرونة و القدرة على التعبير عن مطالب الحياة العصرية ، فهي لغة الحياة و هي تصلح لتثقيف الجماهير و تعليم الأميّين .
4 _ التّنفير من اللغة الفصحى بدعوى الصعوبة في النطق و الأصوات و النحو و الصّرف ، و القصور عن أداء رسالتها في هذا الزّمن الذي تتعاقب فيه الأحداث ، وتتدفق المعلومات بشكل متسارع .
إنّ من يمعن النظر في هذه الدعاوى و الاحتجاجات يجد أنّها لا تصمد أمام المناقشة ، ويسّهل عليه ردّها لهشاشتها و سطحيتها و عدم جدواها في الإقناع ، فلا تحتاج قدرة اللغة العربية على التعبير و على نقل مصطلحات العلوم و ألفاظ الحضارة إلى إثبات . فأين

لقد حسمت مسألة الصراع بين دعاة العاميّة و أنصار الفصحى لمصلحة الفصحى ، و لا أعتقد أنّه كان في الواقع صراعا بما تحمله هذه الكلمة من معنى ، وإنّما كانت نزوة أو محاولة من بعض ضعاف النفوس لتكريس واقع يسوده التخلّف و الانحطاط ، وتنتشر فيه الأميّة و الجهل ، وينشب فيه الطامع مخالبه .

ليست المشكلة في الازدواجية اللغوية الهوّة الواسعة بين الفصحى و العاميّة ، بل انتشار الأميّة في مختلف أرجاء الوطن العربي . صحيح أنّ هناك فارقا كبيرا بين وجهي هذه اللغة المنطوق و المكتوب ، ولكنّ هناك مستويات انتقالية مختلفة أيضا ، يمكن أن نطلق عليها اسم العربية المتوسّطة ، وهي تقع بين الفصحى ولهجاتها العاميّة . إنّ حلّ مشكلة الازدواجية اللغوية لا يكمن بتبسيط قواعد اللغة الفصحى ، و محاولة تجديد النحو ، وإنما يكون بنشر التعليم في كافة المناطق و تطوير طرائقه و مناهج تدريسه ، لأنّ من يعيش في محيط تسود فيه اللغة الفصحى ، ويألف التعامل و القراءة و متابعة برامج التلفزة و أفلام السينما و نشرات الأخبار بها ، يستطيع _ دون شك _ التعايش معها بكلّ سهولة و يسر ، وتصبح عندها اللهجة المحليّة مجرّد وسيلة تعبير ممجوجة لا ترقى إلى مستوى التعامل الراقي .

إنّ الهوّة السحيقة بين اللغة الفصحى و لهجاتها المحكية في عصرنا الراهن بدأت تتقلّص تدريجيا بتأثير انتشار التعليم و تراجع الأميّة ، والدور المتنامي لوسائل الإعلام و محطّات التلفزة و الفضائيات ، ممّا يساهم في تبادل الأدوار ، فبعد أن كانت اللهجات المحكيّة تهدّد اللغة الفصحى بسبب انتشار الجهل و الأميّة و التقوقع و عدم توفّر إمكانيات التواصل و التلاقي ، أصبحت الفصحى في أيّامنا هذه هي التي تهدّد اللهجات المحكيّة ، و تضيّق عليها الخناق بسبب التقدّم الهائل في وسائل الاتصال و تقنية الحصول على المعلومات والأفكار ، فقد زالت الحدود و الحواجز ، وأصبح التواصل بين بلدان المشرق العربيّ و مغربه ميسّرا ، فنحن نشاهد في كلّ يوم على الفضائيات و محطّات البث المرئي البرامج التي يتبادل فيها المتحاورون الاراء باللغة الفصحى من كلّ بقاع الوطن العربيّ الكبير بكل سهولة و يسر .

8_ مقترحات و توصيات :

و في نهاية هذا البحث لا بدّ من أن نتقدّم ببعض المقترحات و التوصيات التي نعتقد أنّها يمكن أن ترتقي باللهجات المحليّة إلى مرتبة الفصحى ، وتقلص الفروق الكبيرة بينهما ، وهي :

الترجمات التي تمّت في العصر العباسيّ الأوّل ؟ ومن الذي استوعب المعارف العلميّة التي كانت لدى اليونان و الهنود و الفرس و غيرهم ؟

_ ينظر : مشكلة العاميّة و الفصحى ص 74 .

1 _ نشر التعليم في كافة أرجاء الوطن العربي و بين مختلف الفئات ، وضرورة التخلص من الأميّة لأنّ كلّ يوم باللغة الفصحى لن يجد بالتأكيد صعوبة في إتقان هذه اللغة ، ولن يعاني من هذه الهوّة بين وجهي اللغة المنطوق و المكتوب .

2 _ إعادة النظر في مناهج تعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية و الإعدادية و الثانوية و تطوير طرائق تعليم اللغة العربية بما يتناسب و التطورات الحاصلة في ميادين العلوم المختلفة مستفيدين في ذلك من التقنيات المتطوّرة في عصر العولمة ، ومن المناهج الحديثة لتعليم اللغات الأجنبية الغنيّة بالصور و الخرائط و الأشكال المختلفة و المجسّمات ، بالإضافة إلى أشرطة التسجيل الصوتية و المرئيّة .

3 _ العمل على أن تكون جميع البرامج و الأفلام و المسلسلات و المسرحيّات التي تقدّمها وسائل الإعلام المرئيّ و المسموع باللغة العربية الفصحى ،لأن ظاهرة المسلسل المصريّ أو البرامج التي تقدم بالعاميّة تسهم إلى حدّ بعيد في تعميق حالة الازدواجية اللغوية ، و كذلك الأمر في المسلسلات و الأفلام الأجنبية التي تعرض بدون ترجمة شفوية .

فكل مجالات التلفزة و السينما يجب أن تكون محجوزة للفصحى و تؤدى بها . وهنا يشار إلى أنّ وسائل الإعلام ساهمت دون شكّ في تقريب الفصحى من جماهير العاميّة .

4 _ تشجيع دراسة اللهجات المحليّة :

لا بدّ من تشجيع الأبحاث حول اللهجات المحليّة ، إذ لا يجوز أن نترك البحث في هذا المجال حكرا على المستشرقين و علماء اللهجات الأجانب ، لأنّ اللهجات في الواقع هي ضروب محلية من اللغة الرسمية أو النموذجية أو الفصحى . و لهذا فنطلقها محدود ، وهي لا تصلح للاستخدام إلّا في مناطق انتشارها ، ولا يمكن أن نصوغ بها كتابا علميّا قابلا للفهم من قبل جميع الناطقين بالعربية ، و ليس هناك أيّة فائدة من اتساع مجالها ، و لولا وجود اللغة الفصحى لما استطاع العرب أن يفهموا بعضهم بعضا .

إنّ دراسة اللهجات يمكن أن تقدم لنا مادة غنيّة للبحث العلمي ، فربّما نستطيع عن طريقها أن نفهم الكثير من تاريخ هذه اللغة وما طرأ عليها من تغييرات صوتية و صرفية و دلالية ، و ما دخلها من كلمات معرّبة أو أعجميّة ، لأنّ اللهجات _ و كما نعلم _ مليئة بالكلمات الدخيلة من شقيقات العربية كالأكادية و الآرامية و العبريّة و السريانيّة أو من غيرها من اللغات كاليونانية و الفارسيّة و التركيّة .....إلخ .

كما أنّ دراسة اللهجات المحليّة قد تساعدنا على معرفة تاريخ تعريب بعض الأقطار العربية و على معرفة أصل بعض القرى أو المناطق أو الأقاليم عن طريق تحليل الكلام و رصد المفردات المستخدمة .

و تبين لنا الأطالس اللغوية أنّه لا يوجد حدّ فاصل بين منطقة لهجية و أخرى ، بل هناك مناطق انتقالية ليس في قطر واحد فحسب ، وإنّما بين قطر عربيّ وآخر ، و يفضّل في هذا المجال أن يتم القيام بأبحاث ميدانية تجمع فيها الألفاظ العاميّة الموجودة في لهجاتنا المحليّة ، و أن تدرس هذه الألفاظ بعد ذلك ، فتردّ إلى أصلها الفصيح لمعرفة كيفية وصول هذه الكلمات إلى شكلها الحالي ، ومن ثمّ تعميم نتائج هذه الأبحاث على البلاد العربية من أجل تقريب هذه اللهجات بعضها من بعض .

5 _ الاستفادة من التقدم المذهل الذي وصلت إليه برامج الحاسبات الإلكترونية و شبكات الإنترنيت في عصر المعلوماتية ، وتوظيف هذه الإمكانيات و المعطيات في معالجة اللغة العربية و لهجاتها المحليّة ، و في إجراء البحوث الصوتيّة و الصرفيّة و النحويّة و الأسلوبيّة و الدلاليّة .

و أخيرا فإن اللغة العربية الفصحى هي إحدى مقوّمات وجودنا الإنساني و الحضاري ، وهي هويتنا التي تميّزنا من الآخرين ، وهي الوعاء الذي يحتوي تراثنا بمختلف صوره التاريخيّة و الفكريّة و الدينيّة و الثقافيّة و غيرها ، و عن طريقها حفظ ماضي الأمّة العربيّة كلّه ، وعن طريقها تلقّينا و سنتلقّى الموروثات الحضاريّة و آخر منجزات العصر.

و هي التي تربط المشرق العربيّ بمغربه بأواصر التفاهم و التجاوب ، و تجعل من أقطار وطننا العربيّ الكبير وحدة فكرية وثقافية ، ينتقل بها الكتاب العربيّ من المحيط إلى الخليج إلى وادي الرافدين رسول فكر و ثقافة و علم و أدب .

_ قائمة المصادر و المراجع :

1 _ العربية :

– صحيفة الحياة ، العدد **12933** تاريخ **1/ 8/1988**.

– العصر الجاهلي / شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ط **3** ،**1960**.

– فصول في فقه العربية / رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط 2 ، 1983.

– القراءات الشاذّة و توجيهها النحويّ / محمود أحمد الصغير ، دار الفكر بدمشق ، ط 1 ، 1999.

– الكتاب المقدس .

– مدخل إلى فقه اللغة العربية / أحمد مجمد قدور ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط 1 ، 1993.

– مشكلة العاميّة و الفصحى في تعليم اللغة العربية للأجانب / مصطفى النحّاس عبد الواحد ، الخرطوم 1977 .

2 _ الأجنبية :

- Arabische Dialektgeographie (Eine Eifuehrung) , von Peter Behnstedt , u . Manfred Woidich , Brill . Leiden . Boston 2005 .

- Grundriss der Arabischen Phylologie , von Wolfdietrich Fischer , Bd . I , Reichert Verlag , Wiesbaden , 1982.

- Handbuch der Arabischen Dialekte , von W . Fischer und O . Jastrow , Harrassowitz . Wiesbaden 1980 .

- Sprachatlas von Syrien (Kartenband + Beiheft) , Peter Behnstedt , Harrassowitz Verlag , Wiesbaden 1997 .